

كتاب الاحاطة

في اخبار غرناطة *

هذا الكتاب أشهر كتب لسان الدين بن الخطيب واضخمها ، وهو من أشهر الكتب الاندلسية عامة . وقد عرفته المطبعة المصرية في مطالع هذا القرن ، فأخرجت الجزء الأول والثاني منه ، واستطاعت هذه النشرة الجزئية أن تقضى اذ ذاك بعض حاجات الادباء والدارسين . ثم كانت النهضة العلمية الحديثة في صناعة النشر ، وكان اقتضاب تلك النشرة وغيوبها الفنية وقدم العهد بها ، مما يقتضى الأخذ في نشره كاملا محققا ، على الاصول العلمية للنشر .

واستجاب الاستاذ محمد عبد الله عنان لهذه الحوافز ، وهو الرجل الذى أقبل على الدراسات الاندلسية منذ عهد بعيد ، اقبالا دائبا متعمقا بصيرا ، وبذل فيها غاية جهده ومنتهمى وكده ، فافتحم هذا المجال ، وأخذ في تحقيق الجزء الأول من الاحاطة واعداده للنشر ، وبذل في ذلك جهدا كبيرا استغرق منه — كما يقول في مقدمته — فترة طويلة من العمل المتواصل بالقاهرة ومديره والاسكوريال .

وكان هذا الجزء الذى أخرجه دار المعارف — اخرجنا انيقا — في سلسلة ذخائر العرب ، ثمرة هذا الجهد ، ونتيجة ذلك العمل المتواصل في مصر واسبانيا . ولا ريب أن ظهور هذا الكتاب ، بتحقيقاته التاريخية التى عرف الاستاذ عنان بها ، قد أخذ يسد حاجة كبيرة من حاجات الدرس الأدبى ، وحاجات القومية العربية الناهضة معا . وجدير به ان يعد من الاحداث البارزة في تاريخ النشاط الأدبى والعلمى المعاصر .

وبقدر المكانة الكبرى التى يحتلها كتاب الاحاطة من تاريخنا الادبى وتراثنا العربى ، وبقدر منزلة الاستاذ الناشر في الدراسات الاندلسية ، كان استبشارنا لظهوره وتحفيضا به ، وبقدر ذلك كله ينبغى ان يكون اقبالنا على درسه درسا ناقدا ، يتناوله من نواحيه المختلفة .

* هذا هو الاسم الدارج للكتاب ، وبه نشر . ولكن لسان الدين نفسه يسميه في قائمة الكتب التى أوردها في آخر الاحاطة ، ونقلها عنه المقرئ في نفع الطيب : « الاحاطة بما تيسر من تاريخ غرناطة » . ثم جعل الاستعمال يختصر هذا الاسم ، فصار « الاحاطة باخبار غرناطة » كما سماه البشتكى في مقدمة مختصره « مركز الاحاطة »

أما أنا فسأجعل هذه الدراسة خاصة بناحية النشر ، ومدى توفيق الأستاذ الناشر في اخراجه ، وابدأ ذلك بالنظر في الأصول التي اعتمد عليها ، واستند في تحقيق النص إليها .

والاصول في النشر العلمى — كما نعلم — نوعان : أصول مباشرة ، وأصول غير مباشرة .

أما الأصول المباشرة فهي مخطوطات الكتاب . وجملة ما اتيح للاستاذ الناشر منها اربع ، صنفها صنفين ، وجعلها مجموعتين متفاوتى القيمة والمنزلة :

المجموعة الأولى تتألف من مخطوطتين ، واحدة مصرية وهى مخطوطة دار الكتب بالقاهرة ، والأخرى اسبانية ، وهى مخطوطة جاينجوس المحفوظة ضمن مجموعته فى اكاديمية التاريخ بمديرى . والمجموعة الثانية تتألف من مخطوطتين أيضا ، واحدة مصرية وهى مخطوطة رواق المغاربة بالأزهر ، والأخرى اسبانية تونسية ، وهى مخطوطة كوديرا المأخوذة عن نسخة جامع الزيتونة بتونس ، والمحفوظة بمكتبة اكاديمية التاريخ الملكية . وقد رأى الناشر أن يكتفى بها عن أصلها ، متجاوزا بذلك حدود المنهج العلمى .

فأما المجموعة الأولى فهى التى اعتبرها الأصل ، وجعل مخطوطتيها عمدته فى نشر هذا المجلد الأول تدوينا وضبطا وتحقيقا ، لأنه قد انتهى بالبحث والمقارنة الى انهما « اقدم ما وصل إلينا من اجزاء الاحاطة الأولى ، والى انهما فى الوقت نفسه من حيث الكتابة والنص اقيما واصحها » كما هو نص عبارته .

ووددنا لو انه اشرك القارئ معه فى خطوات البحث والمقارنة التى انتهى بها الى الحكم لهاتين المخطوطتين بالاقدمية والأصحية ، بحيث آثرهما هذا الايثار ، وكاد يهدر ما عداهما .

أما نحن فلم نر فيما ذكره عن هاتين المخطوطتين ما يوليها هذا الحق ، ويؤثرهما بهذه المأثرة ، فليست واحدة منهما نسخة المؤلف ، أو نسخة قرئت على المؤلف ، أو نسخة منسوبة نسباً كريماً معترفاً به يحلها هذه المنزلة ، أو حظيت فى تاريخ حياتها بما عسى أن يسمو بها حتى تتجاوز غيرها ، فلا شئ من ذلك يمكن أن توصف به هذه أو تلك لتظفر بذلك الشرف ، وتخمل ما عداها كمخطوطة جامع الزيتونة أو رواق المغاربة . ولسنا بحاجة الى أن نراجعها لنرى أن فيهما الى جانب القراءة الصحيحة القراءة الفاسدة ، والى جانب القراءة المحتملة الخطأ المصمت الذى لا وجه

له ، فذلك ما تثبته فى وضوح وجللاء القراءات المثبتة فى هامش هذه النشرة ، كما ثبت الى جانب ذلك — كما سنرى ذلك فيما بعد — أن من المخطوطتين المفصولتين ما لم تتورط فى مثل هذه الاخطاء .

وكان مما ترتب على اعتبار مخطوطتى دار الكتب وجاينجوس أصلا وعمدة ، أن جعلهما الناشر الحكم الذى يحتكم اليه ، ويقبل حكمته ، فى أكثر الأحيان . فيقبل ما يوردانه ويشبهه وأن كان محالاً ظاهر الخطأ ، ويريف ما عداه ويطرحه ، وأن كان ظاهر الصواب ، بل وأن كان متعينا لا يجوز غيره .

وقد لاحظنا هذا فى غير موضع ، وأخذ منا العجب — أول الأمر — كل مأخذ . ولكن هذا العجب لم يلبث أن زال عنا حين ادركنا السر فى ذلك ، وهو هذا التأصيل الذى لا أصل له ، والا يثار فى غير مأثرة .

وبعد ، فإذا كان هنالك بين الأصول المخطوطة التى عرف بها الأستاذ الناشر فى المقدمة ، أصل هو أول بالتقدمة ، وآثر بالأولية ، لكان ذلك الأصل هو مخطوطة رواق المغاربة (ر٠م) . وحسبها فى ذلك ما يذكره الأستاذ الناشر من صفتها « أن بهوامشها تعليقات واستدراكات للمقرى صاحب كتاب فصح الطيب وبخطه . ومنها فى صفحة ٢٧٩ هامش كتبه تأييدا لقرشية نسب جده ابي عبد الله المقرى . وفى نهايته ما يأتى : « قال هذا وكتبه الفقير أحمد بن محمد المقرى التلمسانى ، نزيل فاس ، بالقاهرة المحروسة ، سنة ١٠٢٩هـ . عرفنا الله خير » .

ومنذ قرأت هذه الفقرة عن مخطوطة رواق المغاربة وأنا أحس احساسا قويا بخطرهما ، ثم تحول ذلك الاحساس الى خاطر ما زال يراودنى ويساورنى ويلج على : الا يمكن أن تكون نسخة رواق المغاربة هذه بقية من النسخة التى كانت فى مصر أيام كان المقرى فيها ، عالما من علمائها ، وشيخا ظاهر المكانة من شيوخ الأزهر ، والتى كان يرجع اليها فى تأليف كتابه : فصح الطيب ، ويصدر عنها بما كان يورده فى هذا الكتاب عن كتاب ابن الخطيب ؟ ذلك فرض على كل حال جد قريب . ثم الا يمكن أن تكون هذه النسخة التى بقيت لنا منها هذه البقايا هى احدى نسخ الكتاب الأصلية ، أى انها النسخة التى اختص بها لسان الدين بن الخطيب مصر ، فوجه بها اليها ، ووقفها على أهل العلم فيها ، وجعل مقرها اذ ذاك بخانقاه سعيد السعداء ،

والتي يتحدث عنها المقرئ في الفصل الذي عقده في نفح الطيب لمصنفات ابن الخطيب، كما يشير إليها الأمير ابن الأحمر حفيد الغنى بالله تعالى في الفصل القيم الذي تحدث فيه عن كتاب الاحاطة، وبعض ملابسات وضعه، في كتابه «نثر الجمان»، ونقله المقرئ؟

ما زال هذا الخاطر يرادني، ولا أملك له صرفا، كما لا أملك تحقيقه والانتهاه فيه الى رأى علمي قاطع، وأنا بعيد عن مصر، اذ كان أول التحقيق فحص هذه المخطوطة. فليبق اذن هذا الخاطر فرضا حتى يتسنى لى أو لأحد الباحثين تحقيقه. فاذا تحقق فقد ظفرتنا بأصل من الأصول النادرة، وكنز علمي من الكنوز التي يغالى بها أصحابها أشد المغالاة. وذلك لجملة أسباب، كل واحد منها يكفي لأن يجعل من هذه المخطوطة شيئا نادرا. فهي أولا نسخة المؤلف التي بعث بها هو نفسه الى مصر لتوقف على أهل العلم فيها. ثم هي تعد من أول نسخ هذا الكتاب ظهورا، فتاريخ الوقفية التي كتبها وكيل المؤلف في مصر الشيخ ابو عمرو بن عبد الله بن الحاج الأندلسي، عن موكله، هو ٢٢ محرم سنة ٧٦٨، أى قبل وفاة لسان الدين بن الخطيب بعشرة اعوام. ثم لانها — فوق هذا كله — تحمل خطوط جماعة من العلماء الاعلام وتعليقاتهم وتوقيعاتهم، منذ عهد ابن الخطيب نفسه، كما نرى ذلك فيما يذكره المقرئ في حديثه عنها، اذ يقول:

«وقد رأيت بظهر أول ورقة من هذه النسخة خطوط جماعة من العلماء. فمن ذلك ما كتبه الحافظ المقرئ المؤرخ، ونصه: اتقى منه داعيا لمؤلفه أحمد بن علي المقرئ في شهر ربيع سنة ثمان وثمانمائة. وما رقه الحافظ السيوطي، ونصه: الحمد لله وحده، طالعت على طبقات النحاة واللغويين، وكتبه عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي سنة ثمان وستين وثمانمائة. وبعد هذين ما صورته: اتقى منه داعيا لمؤلفه محمد بن محمد القوصوني، سنة اربع وخمسين وتسعمائة. وبعده ما صورته: انهاء نظرا وانتقاء على الحموي الحنفى، لطف الله به. وبخط مولانا العارف الرباني علامة الزمان وبركة الأوان الشيخ محمد البكرى الصديقي ما نصه: طالعت مبتهجا برياضه الموقفة، وازهار معانيه المشرقة، مرتقيا في درج كلماته العذاب سماء الاقتباس مقتنيا من لطائفه دررا وجواهر، بل احاشيها بذلك القياس. كتبه محمد الصديقي، غفر الله له. انتهى.»

ورأيت بهامش هذه النسخة كتابة جماعة من أهل المشرق والمغرب، كابن

دقماق، والحافظ ابن حجر، وغيرهما من أهل مصر، ومن المغاربة ابن المؤلف ابي الحسن على بن الخطيب، والخطيب الكبير سيدى ابي عبد الله ابن مرزوق، والعلامة ابي الفضل ابن الامام التلمساني، والنحوى الراعى، والشيخ الفهامة الشهير يحيى العجيسى شارح الألفية وصاحب التأليف. وغير هؤلاء ممن يطول تعدادهم. رحم الله جميعهم»

فأى ذكر أدبى فريد في بابة تتضمنه هذه النسخة!

وهذه التعليقات التي يشير إليها المقرئ في هذه الفقرة قد أورد كثيرا منها في نضاعيف كتابه: نفح الطيب، واكثرها غاية في الطرافة والنفاة من ناحية قيمتها الأدبية والتاريخية. ومن هذه التعليقات ما كتب في حياة لسان الدين، وما كتبه بعض من اتصلت حياتهم بحياته، وشاركوا في بعض الأحداث التي عني بتسجيلها، كبعض ما كتبه ابن مرزوق. ومنها ما يمثل الوانا من الجدل أو الحوار ومناقلة القول بين هذا وذاك من قراء هذه النسخة من العلماء، في عبارات حية نابضة، مما احاط هذه النسخة بجو خاص، وقد عنيت بتتبع هذه التعليقات والتوقيعات — كما جاءت في كتاب المقرئ — ووجدت فيها متعة أى متعة. وأنا أرجو أن تجمع وتستقصى وتتشل في هذه النشرة الجديدة من كتاب الاحاطة، وأن تأخذ مكانها الجدير بها في هامشها.

هذه هي النسخة التي ظلت في مصر محوطة بأسباب الرعاية حتى القرن الحادى عشر للهجرة، وظلت مرجعا للعلماء يرجعون إليها ويمتحنون منها، وبقيت مركزا من مراكز النشاط الأدبى في القاهرة، وموطنا من مواطن الاتصال بين علماء المشرق والمغرب. فهل ترى هذه المخطوطة التي احتفظ بها رواق المغاربة في الأزهر، والتي تحمل كثيرا من التعليقات كما رأينا فيما قاله الاستاذ عنان في صفتها، هي بقية من بقايا تلك النسخة؟ والا يكون ذلك التعليق الذى أشار الاستاذ عنان الى ان المقرئ كتبه على هامشها تأييدا لقرشية جده ابي عبد الله المقرئ، (ولم يورد الاستاذ نصه)، انما كتبه ليقترنه الى التعليقين الذين اشار اليهما في النفح، عند نقله ترجمة جده عن الاحاطة، وفيها أنه قرشى، فقال: «وكتب بعض المغاربة على هامش هذا المحل من الاحاطة: (القرشى وهم. انتهى)، فكتب تحته الامام ابو الفضل ابن محمد التلمساني رحمه الله تعالى ما نصه: (بل صحيح نطقت به الألسنة والمكاتبات والاجازات، واعربت عنه الخلال الكريمة، الا ان البلدية يا سيدى ابا عبد الله والمنافسة تجعل القرشية في امام المغرب ابي عبد الله المقرئ وهما. والحمد لله).»

اكان تعليق المقرئ الموجود في نسخة رواق المغاربة قرينا لهذين التعليقين ، أم انه كتبه مستقلا عنهما وفي هامش نسخة أخرى غير تلك النسخة التي نقلها عنها ؟ هذا مالا نملك الاجابة عنه والقول فيه ما دمنا لانملك مراجعة نسخة رواق المغاربة . على انه مهما يكن من شيء فهذه النسخة ، نسخة رواق المغاربة ، تعد ولا ريب نسخة ممتازة حقا بهذه التعليقات التي كتبها المقرئ بهامشها ، كما تمتاز بما يستطيع قارئ النشرة المطبوعة أن يراه واضحا فيما اثبتته الاستاذ الناشر من قراءاتها مما يدل دلالة قاطعة على أصالة حقيقية ، وإن كنا — ومعذرة الى الاستاذ الناشر — نشك كثيرا في مدى الدقة والاستيعاب في عرض هذه القراءات . فهو قد أساء الظن بها منذ أول الأمر ، واقتحمها نظره بادية بدء ، فلا جرم لم يكن حريصا على أن يؤدي في مقارناته صورة أمينة لها . وإنما هي الالمامة بها بين الحين والحين ، واستشارتها بين وقت وآخر ، في عجلة واستخفاف . وذلك هو تأويل نصه في هامش ترجمة ثابت بن محمد الجرجاني على أن هذه الترجمة « روجعت بأكملها على مخطوط رواق المغاربة بالأزهر » . ولم يكن ثم حاجة الى هذا النص لو أن هذا هو شأن الناشر في جميع الترجمات التي جاءت في هذا المخطوط .

وهذا الى اختفاء رمز هذه المخطوطة اختفاء تاما من هامش كثير من الترجمات التي جاءت في هذا الجزء مما تضمنته هذه المخطوطة . وإذا كان الأستاذ الناشر قد أغفل بيان هذه الترجمات التي شاركت مخطوطة رواق المغاربة فيها — كما كان يقضى بذلك منهج النشر العلمي — فإن القارئ يستطيع بشيء من التعقب أن يستنتج بعضها ، فيرى مثلا انه يذكر في الفصل الذي عقده لوصف هذه المخطوطة انها تبدأ ببقية ترجمة بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية ، كما يذكر في هذا الفصل أيضا انها تتضمن تراجم من حرف الحاء . وليس في ترجمة بدر ولا أي ترجمة من تراجم حرف الحاء إشارة الى أي قراءة من قراءات هذه المخطوطة . وكذلك الأمر في ترجمة ثابت بن محمد الجرجاني التي نص — كما رأينا — على انها روجعت عليها . وعند ترجمة أحمد بن محمد الهمداني اشار الى ان ترجمته التي انفردت بها هذه المخطوطة قد وردت فيها قبل ترجمة ابن اضحى . وقد خلا هامش ابن اضحى من الإشارة الى أي قراءة من قراءاتها .

كما انا نستطيع أن نتبين مدى الدقة في مراجعة هذه المخطوطة اذا نحن رجعنا الى الصفحتين المنشورة صورتها منها في صدر هذه النشرة ، وإذا كان الاستاذ الناشر لم يعين مكانهما منها — وكان من واجبه أن يفعل — فقد وفقنا اليه ، وذلك

فيما بين صفحة ٤٥٥ و صفحة ٤٥٨ ، في ترجمة تاشفين بن علي ، وهي من الترجمات القليلة التي يظهر في هامشها الرمز (ر.م)

وبمراجعة هاتين الصفيحتين وجدنا أن كثيرا من القراءات التي تخالف بها هذه المخطوطة غيرها فيهما قد أغفل ، فلم يشب في النص ، ولم يشر اليه في الهامش ، على ما يبدو من تعيين بعضها ، وعلى ما يلاحظ في هذه النشرة من اسراف شديد في اثبات قراءات لا وجه لها ، واختلافات يصعب تبين حقيقة اختلافها ، مما أثقل الهامش بكثير مما لا داعي له .

وقد أحصينا المواضع التي أغفلت في هاتين الصفيحتين ، مما انفردت به مخطوطة رواق المغاربة ، فإذا هي تقرب من العشرين موضعا . وليس بنا الآن ان نوردنا جميعا ، اذ يكفيها للدلالة على ما نحن بصدده ، وهو موقف الاستاذ الناشر من هذه المخطوطة ، ان نشير الى بعضها :

فمن ذلك أن المخطوطة تسمى عامل على بن يوسف بن تاشفين على اشبيلية « أحمر » ، في حين أن اسمه في النشرة « اغمار » (ص ٤٥٥ س ١٥) . وكان من حق ذلك الاسم ، على الأقل ، أن يأخذ مكانه في الهامش ، اذا لم ير الاستاذ الناشر انه جدير بالنص .

وبعد هذا بقليل نجد هذه العبارة ، في سياق الحديث عن علي بن يوسف بن تاشفين ، بعد أن وجه ابنه تاشفين الى العدو : « وتوفي لسبع خلون من رجب سنة سبع وثلاثين لفعله ذلك » (س ١٨) فتعترض حلوقنا هذه الكلمة الأخيرة النائية ، لانجدها مساعغا ، فنهبط بأنظارنا الى الهامش ، فإذا به يقول : « هكذا وردت في ج . وفي ك : « تفعله ذلك » . وأغفلها ر.م » . وتظل الغصة ناشبة في حلوقنا ، حتى يأذن الله فنقع على هذا الموقع من (ر.م) ، فإذا هي لا تفعل هذه الكلمة كما يزعم الهامش ، وإنما تضع موضعها العبارة الصحيحة ، اذ تقول : « وتوفي على تقيته ذلك » .

ونحسب أننا نستطيع بهذه القراءة وحدها أن نعرف قيمة مخطوطة رواق المغاربة هذه وتقديرها قدرها . ومثل هذه القراءة في هذا الموضع سائر النص في هاتين الصفيحتين ، فهو سليم مستقيم لا عوج فيه ولا أمت ولا تعثر ، اذا استطاع القارئ أن يضبط القراءة على وجهها .

كما نستطيع أن نتبين هذا تبينا لا شبهة فيه فيما أورد الناشر من قراءاتها في

بعض الفصول التي حظيت عنده فيها .

وبعض هذه القراءات ظفرت من الاستاذ الناشر بالرضا والقبول ، فأحلها في مكانها من النص . ولكنه سخط الكثير منها فأهدره ، وإن كان هو الأجدر والأولى ، بل وإن كان هو المتعين . كما جاء في صفة الوزير الفقيه أحمد بن خلف العسائي القليعي انه « قريع دهره » ، فلم تحظ هذه القراءة عنده ، فأهدرها ، وأثر أن يضع مكانها قراءة المخطوطتين الاثريتين : « مريع دهره » وفسرها بقوله : « أغنى وافر الخصب والمرعى » !! (ص ١٥٣ س ٦) .

وفي هذه الترجمة ، في سياق حديث ابن الخطيب عن محنة ابي جعفر القليعي ، وسجن حفيد باديس اياه ، ثم اطلاقه من سجنه ، نقرأ هذه العبارة : « ولما تخلص أعدها غنية » ، وينزلق النظر الى أسفل الصحيفة ليرى التعليق على كلمة « أعدها » القلقة النابية ، فإذا هو يقول : « هكذا في المخطوطتين » ، وفي ر.م : « اعتدها » . ولكن هذه القراءة لم تقع من الاستاذ الناشر موضع القبول ، فأهدرها ، مع أن الكلمة التي اثبتتها فاسدة ، وليست الا تصحيحا لكلمة « اعتدها » المهذرة .

وفي عقب هذه الكلمة نقرأ هذه العبارة : « وكان جزلا قوى القلب » ، فنحس فيها بشيء من الغرابة ، فإذا قرأنا ما اثبتته الناشر في الهامش تعليقا عليها ، وجدناه يقول : « هكذا وردت هذه العبارة في المخطوطتين . ولكنها وردت في ر.م : حولا قلبا » . وهذه — ولا ريب — القراءة الصحيحة الأصلية التي يستقيم بها النص : والتي تحولت في المخطوطتين الأخريين — بسوء القراءة والفهم — الى « جزلا قوى القلب » . أساء الناسخ قراءتها ، إذ غمض عليه معناها ، فوضع كلمة « جزلا » موضع كلمة « حولا » وتصرف في كلمة « قلبا » ، فجعلها « قوى القلب » ، وأخذت بذلك هذه الصورة الغريبة التي روجها عند الأستاذ مجيئها في المخطوطتين الاثريتين ، كما أهدر القراءة الصحيحة المتعينة ورودها في مخطوطة رواق المغاربة .

وهذا هو شأن سائر ما أورده الاستاذ الناشر من قراءات هذه المخطوطة ، وهو قليل في جملته . ولكنه يدلنا على أصالتها وعظيم جدواها . وانا لنرجو أن تكشف لنا دراستها عن سائر مزاياها . وهي — فيما يبدو — جديرة بهذه الدراسة ، حقيقة أن تنكشف عن ذخير أدبي بليغ القدر .

أما ما اعتبره الاستاذ الناشر فيها من « انها تتكون من عدة أقسام متناثرة ،

لا تكون مجموعا موحدا أو متتاليا » أو انها « عبارة عن قطع متناثرة ليست كلها موصولة ولا متتالية » كما يقول في صفتها ، فما ينبغي لشي من ذلك أن يحرمها حقها ، أو يهدر شخصيتها ، ويقصصها عن مكانها في تحقيق النص والرجوع به الى الصورة التي أداها المؤلف . وأما قوله عنها : « انها بلا ريب قطعة مما يعرف بمختصر الاحاطة » ، لما ثبت انه يوجد بالنسخة المطبوعة زيادات كثيرة عما أثبت فيها ، فذلك أيضا لا يبرر اهدارها ، وخاصة اذا كانت جميع النسخ التي اتحت للأستاذ الناشر موسومة بسمة الاختصار . على اني أحسب أن هذا القطع البات الجازم بانها قطعة مما يعرف . . الخ مجازفة غير لائقة علميا ، فليس يكفي أن يكون بالنسخة المطبوعة زيادات كثيرة عما أثبت فيها لتكون قطعة مما يعرف بمختصر الاحاطة ، وخاصة اذا كان « ما يعرف بمختصر الاحاطة » هذا شيئا ليس له كيان خاص ولا شخصية معروفة .

فإذا عرفنا ان لسان الدين بن الخطيب كتب كتابه الاحاطة غير مرة ، وانه ما زال يراجعها ويزيد فيه منذ وضعه ، تبين لنا مبلغ ما في ذلك القول من مجازفة .

وقد رأينا أن تاريخ وافية النسخة التي اهداها الى مصر هو ٢٢ محرم سنة ٧٦٨ ، أي انها تمت تأليفنا ونسخا قبل هذا التاريخ بزمان غير قصير . كما نعلم الى جانب هذا أن نسخة الاحاطة المطبوعة في مصر أول هذا القرن تحمل في أطوائها وفي سياق بعض تراجمها ما يدل على انها كتبت بعد ذلك التاريخ بزمان غير قصير ، إذ تؤرخ مثلا لبعض الاحداث التي وقعت في سنة ٧٧١ .

وإذا علمنا أن نسخة الاحاطة تلك المهداة الى مصر ليست هي النسخة الأولى ، بل كتب قبلها من نسخ هذا الكتاب ما يقع في نحو نصفها ، علمنا مبلغ التفاوت في نسخ الاحاطة التي صدرت عن المؤلف نفسه . وقد نص على هذا الأمير ابن الأحمر في النصل الذي كتبه عن الاحاطة ، إذ يقول :

« . . . وأخذ في تأليف الاحاطة مستدعيا تصحيح الموالد والوفيات ، والاسماء والمسميات ، ومستكثرا من طرف المصنفات ، ليتيم قصده من الاطباء ، ونقله العيون الرائقة من كل كتاب . والقي جميع مقاصده ، والمعظم من تنظيم فرائده ، بيد الشيخ العمدة ، معلم الجملة منا كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ابي عبد الله الشريشي ، قدس الله تعالى ضريحه . وهذا الشيخ الذي لم يجاوز سن الكهولة في ذلك الوقت هو الذي تولى من المبيضات نقله ، واحكم جنسه وفصله ،

وانتختم على مجلدات ستة • ولما عاد ابن الخطيب الى الاندلس ، بعودة جدنا الغنى بالله تعالى الى ملكه عام ثلاثة وستين وسبعمائته ، تلاحقت الفروع من كتاب الاحاطة بالأصول ، وانجز من التبحر فيه الوعد المطول ، ووضعت بخانقاه سعيد السعداء النسخة المتممة من اثني عشر سفرا »

فها نحن اذن ازاء نسخ ثلاث من كتاب الاحاطة صدرت جميعا عن المؤلف : كتبت أولاها قبل سنة ٧٦٣ ، وكتبت الثانية قبل سنة ٧٦٨ ، وكتبت الثالثة بعد سنة ٧٧١ • ولعل هنالك مما صدر عن المؤلف غير هذه الثلاث • وبين الاولى والثانية من التفاوت ما رأينا • ولا بد أن تتفاوت جميعا على كل حال ، اذ كان الرجل في اصداره لها مؤلفا وليس ناسخا ، واذا كان معنيا بتسجيل احداث عصره والاحاطة بها وملاحقتها •

واذن فالادعاء بان نسخة رواق المعاربة ليست الا قطعة من مختصر الاحاطة ، لان هناك نسخة أخرى تزيد عليها ، ادعاء يعتمد على غير أساس •

وبذلك يسقط ما اعتبره الاستاذ الناشر في هذه النسخة ، مما آخرها عنده عن موضعها ، وأهدر حقها الاصيل في تقويم نص الاحاطة على الأصول العلمية •

طه الحاجري

بنغازي

الاستبصار في عجائب الأمصار

لؤلف مراكشي مجهول : كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٨ ، رقم ١٠ من مطبوعات كلية الآداب بجامعة الاسكندرية •

للدكتور سعد زغلول عبد الحميد ، ناشر هذا الكتاب ، الفضل في نشر نصف هذا الكتاب لأول مرة في نصه العربي ، وقد شفع هذا الفضل بآخر وهو ترجمة ما نشره عربيا لأول مرة الى اللغة الفرنسية •

وبذلك أتم الدكتور سعد زغلول ما بدأه فون كريمر بالنسبة للنص العربي ، وأتم كذلك ما بدأه فاينان منذ عام ١٩٠٠ بالنسبة لترجمة النص العربي الى اللغة الفرنسية • فاذا ذكر كتاب الاستبصار هذا فلا بد أن يقرن اسم الدكتور سعد زغلول الى جانب اسمي فون كريمر وفاينان لأن دوره وحده في هذا الكتاب يعادل دوريهما معا •

وكان فون كريمر قد عنى بهذا الكتاب منذ أكثر من قرن ، ثم رأى فاينان في أول هذا القرن أن يترجم هذا الكتاب الى الفرنسية ليستفح به من لا يعرفون العربية أو من لا يتقنونها • ولفاينان دور مشكور في ترجمة كثير من الكتب العربية الى الفرنسية •

فلما عنى الدكتور سعد زغلول بهذا الكتاب أثناء تحضيره لدرجة الدكتوراه في السربون وجده ناقصا لأن سلفيه العالمين نقلا عن مخطوطات ناقصة ، ووجد الناقص جديرا بالنشر والتسجيل : فقد كان الناقص : قصولا خاصة ببلاد غمارة ، واستقرار الإدارة بالمغرب ، وزندقة برغواطة ، ومدينة سحلماسه ، وبداية العبيدين الفواطم ، ومدن درعة وأغمات ونقيس وتملل ومراكش ، وكذلك الفصول الخاصة ببلاد السوس المتاخمة لبلاد السودان (أنظر ص : أ) • ومن شأن مثل هذا النقص أن يحرمنا من معلومات تاريخية وجغرافية قيمة • ولهذا واصل الدكتور سعد زغلول العناية بالكتاب وجعله رسالته التكميلية • ثم عنى بطبعه وشجعت على ذلك جامعة الاسكندرية حتى خرج الكتاب في ثوب أنيق منشورا على الأصول المصطلح عليها في النشر •